

التِّبيان

فِي قَوَاعِدِ عِلْمِ البَيَان

تأليف

خالد بن عبد الله

الناشر: مكتبة (فتح الرّحمن) للطباعة والنشر
مقديشوا – الصومال

التِّبيان

في قَوَاعِدِ عِلْمِ الْبَيَان

للتواصل مع المؤلف: ٠٦١٨٧٧٧٧٢٨

الطبعة الأولى ٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ

التِّبيان

فِي قَوَاعِدِ عِلْمِ الْبَيَان

الناشر: مكتبة (فتح الرّحمن) للطباعة والنشر

هاتف الناشر: ٦١٥٩٠٠١٨٨

مقديشوا - الصومال

التِّبْيَانُ

فِي قَوَاعِدِ عِلْمِ الْبَيَانِ

تأليف الفقير إلى ربه

خالد بن عبد الله

تلميذ الأستاذ مهد حاج شكر

غفر الله له ولوالديه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول الفقير إلى رحمة ربه الغني خالد بن عبد الله: هذه نبذة في علم البيان ألّفتها وجمعتها من كتبه لتكون عونا للمبتدئ الراغب فيه فأفوز بالأجر والثواب بإعانته؛ لأنّ الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فأسأل الله الإخلاص لأكون مستوجبا للخلاص، وها أنا أشرع فأقول: اعلم أنه ينبغي لكل شارع في فنّ أن يتصوّره ويعرفه قبل الشروع فيه، ويحصل التصور بمعرفة المبادئ العشرة(١) المجموعة في قول بعضهم:

---

(١) قال بعض العلماء: هذه المبادئ العشرة قسمان:

١- قسم تجب معرفته وجوبا صناعيا وهو ثلاثة الحد والموضوع والغاية.

٢- وقسم تندب معرفته ندبا صناعيا وهو ما عدا هذه الثلاثة.

وإنما وجب تقديم تعريف العلم ليكون طالبه على بصيرة في طلبه فإنه إذا تصوره بتعريفه فقد أحاط بجميعه إحاطة إجمالية باعتبار أمر شامل له يضبطه ويميّزه عما عداه ووجب تقديم موضوعه ليمتاز عند الطالب العلم المطلوب عن غيره مزيد امتياز إذ به تتمايز العلوم وندب تقديم معرفة واضعه لأن معرفته مما له دخل في دواعي الإقبال لكن العلم إذا كان عقليا كالمنطق فالحاجة إلى معرفة واضعه غير قوية وإن كان نقليا فالحاجة قوية وندب تقديم اسمه لأن في بيان تسمية العلم مزيد اطلاع على حالة تفضى مع ما سبق إلى كمال استبصاره في شأنه ولأن ما لا يعرف اسمه لا يحسن طلبه إذ بالاسم يتأتى الإخبار عن المسمى ووجب تقديم فائدته لأمرين:

الأول: ازدياد رغبة الطالب فيه إذا كان ذلك العلم مهما له بسبب فائدته التي عرفها فيوفّيه حقه من الجد والاجتهاد في تحصيله بحسب تلك الفائدة.

الثاني: الدفع للعبث فإن الطالب إن لم يعتقد فيه فائدة أصلا لم يتصور منه الشروع فيه قطعا وإن =

إن مبادئ كل فنّ عشره **الحد والموضوع ثم الثمره**

وفضله ونسبة والواضع **والاسم الاستمداد حكم الشارع**

مسائل والبعض بالبعض اكتفىٰ **ومن درىٰ الجميع حاز الشرفا**

فحدّ علم البيان: علم بأصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الوضوح في الدلالة عليه.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث إيراد المعنى الواحد به مع طرق مختلفة الوضوح.

وفائدته: فهم كلام الله وكلام رسوله على وجه لا يعتريه خطأ، والتمكّن من مخاطبة أهل اللسان بطرق مختلفة.

وفضله: فوقانه على سائر العلوم بالنسبة والاعتبار.

ونسبته لباقي العلوم: التباين.

=

اعتقد فيه فائدة غير ما هي فائدته أمكنه الشروع فيه إلا أنه لا يترتب عليه ما اعتقدة بل ما هو فائدته وربما لم تكن موافقة لغرضه فيعد سعيه في تحصيله عبثا عرفا لأن العبث العرفي ما لا يترتب عليه فائدة معتد بها فى نظره وندب تقديم المعرفة بنسبته: لأن بمعرفتها يطّلع الطالب على أن العلم المطلوب يستمد من علم آخر فيكون الآخر أعلى أو يستمد منه آخر فيكون الآخر أسفل وندب تقديم المعرفة باستمداده: لأنه يعرّف مراتب العلوم فيطّلع ما حقّه أن يقدم في الطلب وما حقّه أن يؤخّر وندب تقديم الإشارة الإجمالية إلى مسائل العلم ليتنبه الطالب على ما يتوجه إليه من المطالب تنبها موجبا لمزيد استبصاره في طلبها وندب تقديم المعرفة بحكم تعلّمه: لأن الطالب مع جهله ربما يقع فى ممنوع أو مكروه فإذا علم الحكم أحجم أو يعرض عن واجب أو مندوب فإذا علمه أقدم وازداد نشاطا ورغبة.

وواضعه: أبو عبيدة معمر بن المثّنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقيل: الإمام عبد القاهر الجرجاني[١].

واسمه: علم البيان.

واستمداده: من الكتاب والسنة وتراكيب البلغاء.

وحكمه: الوجوب الكفائي على أهل الفهم والإدراك.

ومسائله: القضايا التي تذكر فيه كقولهم: كل تشبيه حذف فيه أركانه إلا المشبه به فاستعارة مصرّحة، نحو: رأيت أسدا يصلّى.

ثمّ اعلم: أن اللفظ إن عين بإزاء معنى ليدلّ عليه يسمّى موضوعا والمعنى موضوعا له والتعيين وضعا.

ثم إنه بعد ذلك: إما أن لا يتصرّف فيه عند الاستعمال، أو يتصرّف فيه عنده.

فالأول: يسمّى حقيقة.

والثاني: إن كان التصرّف بإسناده إلى غير ما حقّه أن يسند إليه يسمّى مجازا عقليّا.

وإن كان بنقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة فإن منعت قرينته إرادة المعنى

---

(١) **قال السيوطي في بغيته:** معمر بن المثنى اللغوي البصري أبو عبيدة مولى بنى تيم تيم قريش رهط أبى بكر الصديق أخذ عن يونس وأبى عمرو وهو أول من صنف غريب الحديث أخذ عنه أبو عبيد وأبو حاتم والمازني والأثرم وعمر بن شبّة وكان أعلم من الأصمعي وأبى زيد بالأنساب والأيام صنف المجاز في غريب القرآن، الأمثال في غريب الحديث، المثالب، أيام العرب، معانى القرآن، طبقات الفرسان، نقائض جرير والفرزدق، وغير ذلك ولد سنة اثنتي عشرة ومائة ومات سنة تسع وقيل ثمان وقيل عشر وقيل إحدى عشرة ومائتين.

قال الإمام السيوطي في بغية الوعاه: الإمام المشهور أبوبكر أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج عن بلده وكان من كبار أئمة العربية والبيان شافعيا أشعريا صنف المغنى في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه، إعجاز القرآن الكبير والصغير، الجمل، العوامل المائة، العمدة في التصريف، وغير ذلك، مات سنة إحدى وقيل أربع وسبعين وأربعمائة.

الموضوع له فمجاز لغويّ، وإن لم تمنع فإن كان بالكاف وكأنّ ونحوهما فتشبيه، وإلّا فكناية.

فتلخّص من ذلك أربعة أشياء: الحقيقة، والتشبيه، والمجاز، والكناية[١].

ولكنّ التكلم عن الحقيقة والتشبيه ليس مقصودا بالذات في علم البيان.

باب الحقيقة

هي خمسة أقسام:

لغوية، وهي: الكلمة المستعملة فيما وضعت له عند أهل اللغة، نحو رأيت أسدا مرادا به الحيوان المفترس.

وعقلية، وهي: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له في اعتقاد المتكلّم فيما يفهم من ظاهر حاله[٢].

---

(١) وإن شئت قلتَ: إذا أراد المتكلم بالكلمة معناها الموضوعة له فهي الحقيقة إن أسندها إلى ما هو له وإلا فمجاز عقلي وإن أراد معنى غير ما وضعت له فلا بد هناك من علاقة فهي إما المشابهة أو غيرها وعلى التقديرين إما أن يلاحظ معناه الأول أو لا فهذه أربعة أقسام أحدها أن لا يلاحظ معناها الأول والعلاقة المشابهة وهو التشبيه والثاني أن يلاحظ ذلك والعلاقة غير المشابهة وهو الكناية والثالث أن لا يلاحظ ذلك والعلاقة المشابهة وهي الاستعارة والرابع أن لا يلاحظ ذلك والعلاقة غير المشابهة وهو المجاز المرسل.

(٢) **قوله**: ما هو له، يتبادر منه إلى ما هو له بحسب الواقع فيتناول ما يطابق الواقع والاعتقاد معا وما يطابق الواقع فقط ولا يتناول ما يطابق الاعتقاد دون الواقع وما لم يطابق شيئا منهما، وقوله في اعتقاد المتكلم دخل به في الحد ما يطابق الاعتقاد فقط وكان المطابق لهما باقيا على حاله داخلا في الحد، وخرج به ما يطابق الواقع فقط بعد أن كان داخلا، وقوله فيما يفهم من ظاهر حاله دخل به في الحد ما يطابق الواقع فقط ودخل أيضا ما لم يطابق شيئا منهما وصار التعريف متناولا للأقسام الأربعة.

وهي أربعة أقسام: ما يطابق الواقع والاعتقاد معا، كقول المؤمن: أنبت الله البقل.

وما يطابق الاعتقاد فقط، كقول الجاهل: أنبت الربيع البقل.

وما يطابق الواقع فقط، كقول المعتزليّ لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها: خلق الله الأفعال كلّها.

وما لا يطابق شيئا منهما، كقولك: جاء زيد وأنت تعلم أنه لم يجئ دون المخاطب.

وشرعية، وهي: الكلمة المستعملة فيما وضعت له عند أهل الشرع، كالصلاة فإنها موضوعة للأقوال والأفعال المخصوصة.

واصطلاحية خاصة، وهي: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح خاصّ، كالفاعل فإنه موضوع في اصطلاح النحاة للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه.

واصطلاحية عامة، وهي: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح عامّ، كالدّابّة فإنها موضوعة في العرف العام لذوات الأربع كالفرس والحمار.

فائدة: السبب الداعي إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز أمور:

منها: التعظيم كما في قولك: سلام على المجلس العالي.

ومنها: المبالغة في إفادة المقصود مع الإيجاز كما في رأيت أسدا فإنه أبلغ في الدلالة على الشجاعة مع الإيجاز من قولك رأيت إنسانا كالأسد شجاعة.

ومنها: تصوير المعقول بصورة المحسوس زيادة في التفهيم كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤].

ومنها: تشحيذ الذهن لأنّ فهم المعنى منه يتوقف على القرينة، وذلك يحوج إلى حركة الذهن فيحصل من الفهم شبيه لذّة الكسب.

ومنها: جهل المتكلّم أو المخاطب اللفظ الحقيقيّ كما في قول الفقهاء: «لا يجوز نقل حشيش الحرم» ومرادهم الرطب، مع أن الرطب يقال له «خلى» واليابس «حشيش» وإنما آثروا تسمية الرطب حشيشا تجوّزا لكونه أقرب إلى أفهام العامة لجهلهم معنى الخلى، وبهذا يردّ على من غلّطهم.

ومنها: ثقل اللفظ الحقيقي على اللسان كالخنفقيق اسم للداهية فيعدل عنه إلى لفظ خفيف كالموت ونحوه تجوّزا لعلاقة المسببية.

ومنها: التحقير كاستعارة لفظ الهمج وهو اسم الذباب الصغير للجاهل.

ومنها: الترهيب كاستعارة السمّ لبعض المطعومات لتنفير السامع.

باب التشبيه

ويبحث منه خمسة: حدّ، وأركان، وصور، وأقسام، وأغراض.

فحدّه لغة: التمثيل، واصطلاحا: الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بأداة مخصوص.

وأركانه: أربعة: مشبّه، ومشبّه به، ووجه شبه، وأداة تشبيه، وهو الكاف والأصل فيها أن يليها المشبه به، نحو: زيد كالبدر، وكأنّ والأصل فيها أن يليها المشبه، نحو: كأنّ زيدا أسد، ونحوهما(١).

وصوره أربعة: وهي: إما أن تذكر الأركان كلّها، نحو: زيد كالأسد في الشجاعة، ويسمّى تامّا.

(١) فتفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا نحو كأنك أسد وتفيد الشك إذا كان مشتقا نحو كأنك عالم

وإما أن يحذف أداة التشبيه وحده[1]، نحو زيد أسد في الشجاعة، ويسمّى مؤكّدا.

وإما أن يحذف وجه الشبه وحده، نحو زيد كالأسد، ويسمّى مجملا، وهو: إما ظاهر بحيث يفهمه كلّ أحد، نحو: زيد كالأسد، فإن كلّ أحد ممن يفهم معنى هذا الكلام يفهم أن وجه الشبه هو الشجاعة، أو خفيّ لا يفهمه إلّا الخواص، نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام، فإن وجه الشبه بين النحو والملح: هو الصلاح بالإعمال والفساد بالإهمال، وهذا مما لا يفهمه كل من يفهم معنى هذا الكلام، ولذا خفي على بعض الأذهان وتوهّم أن وجه الشبه بينهما كون القليل مصلحا والكثير مفسدا، ولم يفهم أن وجه الشبه لا بدّ أن يكون مشتركا بين المشبه والمشبه به، وهذا الوجه الذى ذكره لم يوجد في المشبه الذى هو النحو، لأن المراد بالنحو هاهنا: ما يُستعمل منه ويُراعى في الكلام من قواعده المعلومة وأحكامه المقررة، وهذا مما لا يحتمل القلّة والكثرة، لأنه إذا اعتبر بكماله صحّ الكلام وصار صالحا لفهم المراد، وإن سقط منه شيء فسد ولم ينتفع به.

بخلاف الملح فإنه يقبل القلّة والكثرة باعتبار ما يجعل فيه من الطعام، فما جعله هذا البعض وجه الشبه لا يصلح له.

وإما أن يحذف وجه الشبه وأداة التشبيه معا، نحو زيد أسد، ويسمّى بليغا،

---

(١) أي يكون محذوفا منويا في الكلام لا مقدرا والفرق أن المتروك إذا اقتضاه إعراب الكلام يسمى محذوفا مقدرا في نظم الكلام وإن اقتضاه جانب المعنى دون اللفظ يسمى محذوفا منويا فحينئذ إن صح تقديره في النظم يقدر في الكلام وإلا فإياك وإياه لئلا يختل النظام كما في شرح الفوائد الغياثية.

ومنه ما أضيف المشبّه به إلى المشبّه بعد حذف الأداة، نحو لجين الماء.

ولا يجوز حذف واحد من المشبّه والمشبّه به في هذا الباب.

وأقسامه: اثنان: صريح، وضمنيّ.

فالصريح: هو ما يكون التشبيه فيه ظاهرا، نحو: زيد كالأسد.

والضمني: هو ما يكون التشبيه فيه خفيا بل يفهم من مضمون الكلام.

نحو: من يكتفي بفهم مسائل العلوم دون حفظها سيضيع تحصيله، فإنّ من يصيد غزالا ثمّ يطلقه فهو أحمق.

فاللبيب يفهم أنّ المتكلّم يشبّه حال من يكتفي بالفهم دون الحفظ بحال من يصيد غزالا ثمّ بعد العناء يطلقه.

ولو قيل: من يكتفي بفهم مسائل العلوم دون حفظها مثل من يصيد غزالا ثم يطلقه لصار تشبيها صريحا.

ونحو قول الشاعر:

لا تنكري عطل الكريم من الغنىٰ ... فالسّيل حرب للمكان العالي

أي لا تنكري خلوّ الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيبا، لأنّ قمم الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقرّ فيها ماء السّيل، فإنه قد شبّه ضمنا الرجل الكريم المحروم بقمّة الجبل وقد خلت من ماء السّيل وأتى بجملة مستقلّة فضمّنها هذا المعنى في صورة برهان.

ونحو قوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلام

أي إن الذى اعتاد الهوان يسهل عليه تحمّله ولا يتألّم له، وليس هذا الادّعاء باطلا؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألّم، وفي ذلك تشبيه ضمنيّ غير صريح، فينقسم الصريح باعتبارات ثلاثة:

باعتبار طرفيه تارة: إلى ثلاثة:

أن يكون الطرفان حسّيّين نحو: زيد كالبدر، والمراد بالحسيّ: ما يُدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمسة وهي: البصر.

والسمع، والشمّ، والذّوق، واللمس، فدخل فيه الخياليّ: وهو المركب من أمور هي مادته وكل واحد منها موجود يدرك بالحواس لكنّ هيئته التركيبية لم توجد، كقوله:

وكأنّ محمرّ الشقيـ ... ـق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ... ن علىٰ رماح من زبرجد

وأن يكونا عقليين نحو: العلم كالحياة، والمراد بالعقليّ: ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، فدخل فيه الوهميّ: وهو ما لا يدرك بإحدى الحواس ولكن لو وجد في الخارج لكان مدركا بها.

كقوله: «ومسنونة زرق كأنياب أغوال»

ودخل فيه أيضا الوجدانيّ: وهو ما يدرك بالقوى الباطنية، مثل الجوع، والعطش، والشبع، والغمّ، والفرح.

وأن يختلفا نحو: المنية كالسبع، وطبيب السوء كالموت.

وتارة إلى أربعة أقسام:

أن يكون طرفاه مفردين، سواء كانا مطلقين عن التقييد نحو: لها لحظ كالسهم.

أو مقيّدين بقيد يكون له دخل في التشبيه نحو: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء، لأن المشبّه في هذا ليس مجرّد الساعي ما لم يقيد بكونه بحيث لا يحصل من سعيه شيء، وكذا المشبه به ليس مجرد معنى الراقم بدون أن يقيد بكونه راقما على الماء، لأن وجه الشبه بينهما استواء وجود الفعل وعدمه في عدم الفائدة، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين، أو المشبه مطلقا والمشبه به مقيدا نحو قول الشاعر:

والشمس كالمرآة في كفّ الأشل

يريد أن يشبه الشمس في حركتها السريعة المتصلة وإشراقها المتموّج بالمرآة في يد المرتعش أو المشبه مقيدا والمشبه به مطلقا نحو: اللؤلؤ المنظوم كالثغر.

وأن يكونا مركّبين نحو قول الشاعر:

كأنّ سهيلا والنجوم وراءه ... صفوف صلاة قام فيها إمامها

يريد تشبيه هيئة سهيل والنجوم مصطفة وراءه بهيئة إمام قائم يصلّى والناس خلفه صفوف، وأن يكون المشبه مفردا والمشبه به مركّبا.

نحو قول الشاعر:

وكأنّ محمرّ الشقيـ ... ـق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ... ن علىٰ رماح من زبرجد

يريد تشبيه الزهر حال تصوّبه وتصعّده بأعلام ياقوت منشورة على رؤوس رماح من زبرجد، فالمشبه مفرد وهو الشقيق، والمشبه به مركب من أعلام

ياقوت ورماح من زبرجد.

وأن يكون المشبه مركّبا والمشبه به مفردا نحو قول الشاعر:

يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما … تريا وجوه الأرض كيف تصوّر

تريا نهارا مشمسا قد شابه … زهر الرّبا فكأنما هو مقمر

يريد أن يشبّه هيئة النهار المشرق وقد خالطت ضوءه خضرة الزهر فتضاءل ضوءه بليل بزغ قمره في ضعف الضوء في كلّ، فالمشبه مركب من نهار تألّقت شمسه ومن زهر نبتت في الرّبا، والمشبه به مفرد وهو الليل المقيد بكونه مقمرا.

وتارة: إلى ملفوف ومفروق، فالملفوف: أن يؤتى بمشبهين أو أكثر ثم بالمشبّه بها، نحو قول الشاعر:

ليل وبدر وغصن … شعر ووجه وقد

شبّه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقدّ، تشبيها مقلوبا.

والمفروق: أن يؤتى بمشبّه ومشبّه به ثم آخر وآخر، نحو قول الشاعر:

النشر مسك والوجوه دنا … نير وأطراف الأكفّ عنم

ففيه ثلاث تشبيهات كلّ مشبّه مع ما هو مشبّه به من غير أن يتصل أحد المشبّهات بالمشبّه الآخر.

وتارة: إلى تسوية وجمع، فتشبيه التسوية: هو ما تعدد فيه المشبّه، نحو قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي … كلاهما كالليالي

وتشبيه الجمع: هو ما تعدد فيه المشبّه به، نحو قول الشاعر:

كأنمـــا يبســـم عـــن لؤلـــؤ　　　منضّـــد أو بـــرد أو أقـــاح

وباعتبار وجه الشبه تارة: إلى قسمين: تمثيلي وغير تمثيلي.

فالتمثيلي: هو ما كان الوجه فيه هيئة منتزعة من عدّة أمور.

سواء كان طرفاه مفردين نحو قول الشاعر:

وقد لاح في الصبح الثريّا كما ترىٰ　　　كعنقــود ملّاحيــة حــين نــوّرا

فالمشبه وهو الثريا مفرد، والمشبه به وهو عنقود الملاحية في حال إخراج النور كذلك، ووجه الشبه هيئة حاصلة من تقارب صور بيض مستديرات صغيرات المقادير في رأي العين.

ونحو: «والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ» فالمشبه مفرد وهو الشمس وكذا المشبه به وهو المرآة مقيّدة بكونها في كفّ المرتعش، ووجه الشبه هيئة حاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموّج الإشراق حتى يرى الشعاع كأنّه يَهُمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثمّ يبدو له رأي ثان فيرجع إلى الانقباض كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط، فإن الشمس إذا أحدّ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدّية لهذه الهيئة، وكذلك المرآة في كفّ المرتعش.

أو كانا مركبين نحو قول الشاعر:

كـأنّ مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا　　　وأسـيافنا ليـل تهـاوىٰ كواكبـه

فالمشبه مركب، وهو هيئة السيوف وقد سلّت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرّك بسرعة إلى جهات

مختلفة، والمشبه به مركب أيضا.

وهو هيئة الكواكب في تهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة، ووجه الشبه مركب أيضا، وهو هيئة حاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرّقة في جوانب شيء مظلم.

أو كان المشبه مفردا والمشبه به مركبا، كما تقدّم في تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، ووجه الشبه هيئة حاصلة من نشر أجرام حمر على رؤوس أجرام خضر مستطيلة.

أو كان المشبه مركبا والمشبه به مفردا، كما تقدّم في قول الشاعر:

تريا نهارا مشمسا.....إلخ، فوجه الشبه هيئة حاصلة من تداخل الأنوار بين أشياء مسودّة حتى عادت تضرب إلى الاصفرار.

فائدة: اعلم: أن وجه الشبه في التشبيه التمثيلي:

هو الهيئة من حيث هي مع قطع النظر عن المواد المعتبرة في الطرفين، إذ الأعراض مع قطع النظر عن المحال كلية مشتركة فتصلح لأن تكون وجه شبه كما أنها مع اعتبار قيامها بشيء من الطرفين جزئية فتصلح لأن تكون مشبهة ومشبها بها، فتبين من ذلك: أن الهيئة من الثلاثة الأركان متحدة من حيث التعقل متغايرة من حيث الاعتبار، ومعنى ذلك أن الهيئة من حيث إنها كلية مشتركة مقطوعة النظر عن المواد المعتبرة في الطرفين تكون وجه شبه، ومن حيث إنها جزئية قائمة بإحدى مواد الطرفين تكون مشبهة أو مشبها بها، ثم إن المواد معتبرة على وجه كونها مما ينتزع منها الهيئة لا على أنها مشبهة أو مشبه بها.

ثم اعلم: أنه يجب ذكر طرفي التشبيه التمثيلي من الهيئة، إما بأن يذكر ما

يدلّ عليها إجمالا من لفظ القصة والمَثَل وأمثالهما، إما مع ذكر ما يدلّ على موادها من الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[البقرة:١٧] الآية، أو مع تركه، وذلك: إما أن يكون مشتهرا كقوله تعالى: «مثل الحيوة الدنيا» إذ تقديرها: تقضيها بسرعة وانقراض نعمها بغتة بالكلية بعد ظهور قوّتها واغترار الناس بها واعتمادهم عليها، أو مذكورا سابقا كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي مثل المنافقين المذكورين سابقا، وقد يكون الترك في الطرفين معا بأن يكون جانب منهما معلوما وجانب آخر مشهورا.

كقولك عند من يعرف حالك من مكابدة الأحزان ومقاساة المحن: قصّتي كقصّة يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وإما بأن يذكر ما يدلّ على المواد تفصيلا مع عدم الإشارة إلى لفظ المَثَل وأمثاله، لدلالة المقام على أن التشبيه في الهيئة، كقوله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الآية، إذ التقدير: كمثل ماء، ولا بدّ من هذا التقدير، إذ الأصل ذكر ما يدلّ على الهيئة، وإنما ذكر المواد لتحصيلها.

وغير التمثيلي: ما ليس وجهه كذلك، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة.

وتارة إلى قريب وبعيد، فالقريب هو: ما ينتقل فيه الذّهن من المشبّه إلى المشبه به من غير تأمّل بسبب وضوح وجه الشبه فيهما لوحدة الجهة المشتركة بين الطرفين نحو: زنجيّ كالفحم، لأن استحضار الأمر الواحد أيسر من استحضار المتعدد، أو لتجانس الطرفين نحو: الجرة الصغيرة كالكوز في المقدار والشكل، أو كون المشبه به أكثري الحضور مع المشبه نحو: زيد كالبدر.

والبعيد هو: ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بعد إعمال فكر بسبب خفاء وجه الشبه فيهما، بأن يكون وجه الشبه أمورا كثيرة، كما في تشبيه الشمس بالمرآة في كفّ المرتعش، أو يكون المشبه به بعيد النسبة عن المشبه قبل التشبيه، كتشبيه الإنسان بالخنفساء في اللجاج، أو يكون المشبه به نادر الحضور في الذّهن لكونه شيئا وهميا كما في قوله: «ومسنونة زرق كأنياب أغوال» أو مركبا عقليا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[يونس:٢٤]، ولا يخفي أن المشبه في هذه الآية: «مثل الحيوة الدنيا» أعنى حالها العجيبة الشأن التي هي تقضيها بسرعة وانقراض نعمها بغتة بالكلية بعد ظهور قوتها واغترار الناس بها واعتمادهم عليها، والمشبّه به: مركّب من عشرة جمل تداخلت حتى صارت كأنها جملة واحدة فيكون مركّبا عقليا.

وتارة إلى مقلوب وغير مقلوب.

فغير المقلوب هو: ما كان وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه، وهو الأكثر في التشبيهات.

والمقلوب هو: ما كان وجه الشبه في المشبه أقوى منه في المشبه به، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥]، أي في الحلّ والإباحة، وهذان القسمان لا يختصان بالتشبيه الصريح.

وتارة إلى محقّق ومتخيّل.

فالمحقّق هو: ما كان وجه الشبه متقرّرا في كلّ من الطرفين على وجه التحقّق، كما في تشبيه العلم بالنّور، فإن وجه الشبه وهو الهداية متقرّر في كلّ منهما حقيقة.

والمتخيّل ما لا يكون وجه الشبّه متقرّرا فيهما أو في أحدهما إلا على سبيل التخييل، كما في قوله:

وكأنّ النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

فإن وجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، وتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به وهو السنن بين الابتداع إلا على طريق التخيّل؛ لأنه لما كانت البدعة وكل الجهالات تجعل صاحبها كمن يمشى في الظلمة و لا يهتدى للطريق.

ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بها، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور؛ لأن السنة والعلم يقابلان البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة وشاع ذلك حتى تخيّل أن السنة ونحوها مما له بياض وإشراق نحو: «تركتكم على الحنيفية البيضاء» وتخيل أن الأول وهو البدعة ونحوها على خلاف ذلك أي مما له ظلام وسواد كقولك: شاهدت سواد الكفر من جبين فلان، فصار بسبب ذلك تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها ببياض الشيب بين سواد الشباب.

وأغراضه: قسمان:

ما يعود إلى المشبه، وهو الأكثر، ومنه:

كشف حال المشبّه، كتشبيه ثوب بثوب في لونه إذا كان لونه مجهولا للمخاطب، بشرط أن يعلم المخاطب لون الثوب المشبه به.

وبيان مقدار حاله، إذا كان السامع يعلمها إجمالا، كتشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد، وكتشبيه الصوت القوي بالرعد.

وبيان إمكان وجوده، بأن كان أمرا غريبا يمكن أن يدّعى امتناعه، كقول أبى الطيّب:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإنّ المسك بعض دم الغزال

فإنّه لما ادّعى أن الممدوح فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا الادّعاء ممتنعا في الظاهر احتجّ لهذه الدّعوى وبيّن إمكانها بأن شبّه هذه الحالة بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنّه لا يعدّ منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدّم، والتشبيه فيه ضمنيّ لا صريح.

وتزيينه نحو قول الشاعر:

سوداء واضحة الجبين ... كمقلة الظبي الغرير

شبّه سوادها بسواد مقلة الظبي تحسينا لها وتصويرا بصورة حسنة عند السامع، فإن السواد الكائن في مقلة الظبي مستحسن طبعا.

وتقبيحه نحو قول الشاعر:

وإذا أشار محدّثا فكأنّه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

شبّه المهجوّ حالة تحديثه بقرد حالة القهقهة أو بعجوز حالة لطم وجهها

تقبيحا له وتنفيرا عنه.

وما يعود إلى المشبه به، وهو إيهام أن المشبه أتمّ في وجه الشبه من المشبّه به، كما في تشبيه المقلوب، نحو الشاعر:

وبدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يُمتدَح

والغرض هو: الباعث الذى يحمل المتكلّم على أن يعقد تشبيها بين شيئين.

وينقسم باعتبار الأغراض: إلى مقبول ومردود، فالمقبول: ما وفي بالأغراض السابقة ونحوها، كأن يكون المشبّه به أعرف من المشبّه في وجه الشّبه إذا كان الغرض بيان حال المشبّه، أو مسلّم الحكم عند المخاطب في بيان إمكانه، أو مساويا له في بيان قدره.

والمردود: ما لم يف بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به أو مع وجوده لكنه بعيد، وذلك: كتشبيه الشيء بالمسك في الرائحة، فإنه مقبول لأن المسك أعرف الأشياء فيها، ولو شبه به في السواد لكان مردودا؛ لأنه ليس معروفا من هذه الجهة عرفانه من تلك.

تنبيه: وجه الشبه: هو الوصف الخاص:

الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه، كالكرم في نحو: زيد كحاتم.

وهو قسمان: داخل في حقيقة الطرفين، كما في تشبيه ثوب بآخر في النوع، نحو: هذا الثوب مثل هذا في كونهما قميصا.

أو في الجنس، نحو: هذا الملبوس مثل هذا في كونهما ثوبا.

أو في الفصل، نحو: هذا الثوب مثل هذا في كونهما من قطن.

وخارج عن حقيقتهما، نحو: زيد كالأسد في الشجاعة.

وينقسم أيضا إلى ثلاثة أقسام: واحد، ومركّب تركيبا حقيقيا بأن يكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة كتشبيه زيد بعمرو في الإنسانية، فإنها مركّبة من الحيوانية والناطقية، أو اعتباريا بأن يكون هيئة انتزعها العقل من عدّة أمور كما في التشبيه التمثيلي، ومتعدد، بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كلّ منها ليكون كل منها وجه شبه، وكلّ من هذه الثلاثة إما حسي، أو عقلي، فهذه ستة، ويختص الثالث بأن يكون مختلفا بعضه حسيّ وبعضه عقليّ، فهي سبعة، والطرفان إما أن يكونا حسيين أو عقليين أو المشبّه حسيا والمشبّه به عقليا أو المشبّه عقليا والمشبّه به حسيا.

فاضرب هذه الأربعة في السبعة الأولى يكن الحاصل ثمانية وعشرين.

وهي قسمان: صحيحة وغيرها، فالصحيحة ستّ عشرة صورة: وهي الواحد والذى بمنزلته والمتعدد إذا كانت عقلية مضروبة في أربعة أحوال الطرفين فهذه اثنا عشر، وإذا كانت أي الثلاثة المذكورة حسية أو بعض المتعدد حسيا وبعضه عقليا فإنّما تجرى هذه الأربعة في الطرفين الحسيين فقط، فإذا ضممتها إلى الأولى كانت ما تقدّم، وغير الصحيحة هي الباقية.

نحو: خدّها كالورد في الحمرة، وهو واحد حسّي.

ونحو: العلم كالحياة في النفع، وهو واحد عقليّ.

ونحو: وقد لاح في الصبح الثريّا....إلخ، وهو مركب حسيّ، ونحو قول الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو مركّب عقليّ

ونحو قول الشاعر:

مهفهف وجنتاه كالخمر لونا وطعما

وهو متعدد حسيّ.

ونحو قول الشاعر:

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النفع والضرر

وهو متعدد عقليّ.

ونحو قول الشاعر:

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء كالسيف في الرونق والمضاء

وهو متعدد بعضه حسيّ وبعضه عقليّ، وقس على ذلك.

خاتمة: تقدّم: أن أركان التشبيه أربعة:

فالمشبه به مذكور قطعا، والمشبه إما مذكور أو محذوف، وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف، وعلى التقادير فالأداة إما مذكورة أو محذوفة، فهي ثمان مراتب، وأعلاها في القوّة المبالغة: ما حذف فيه وجهه وأداته فقط، نحو: زيد أسد، أو مع حذف المشبه نحو: أسد، في مقام الإخبار عن زيد.

ويليه: ما حذف فيه الوجه فقط أو الأداة فقط أو مع حذف المشبه، نحو: زيد كالأسد، ونحو: كالأسد في مقام الإخبار عن زيد، ونحو: زيد أسد في الشجاعة، ونحو: أسد في الشجاعة عند الإخبار عن زيد، ولا قوّة لخلاف ذلك بأن تذكر الأداة والوجه إما مع المشبه أو بدونه نحو: زيد كالأسد في الشجاعة، ونحو: كالأسد في الشجاعة عند الإخبار عن زيد، لأن القوّة إما لعموم وجه الشبه ظاهرا، أو لحمل المشبّه به على المشبّه بأنّه هو هو، فما اشتمل على الوجهين جميعا فهو في غاية

القوّة، وما خلا عنهما فلا قوّة له، وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط.

فائدة: جرت عادة العرب على تشبيه الجواد بالبحر والمطر:

والشجاع بالأسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشهم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأماني الكاذبة بالأحلام، والشعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللُّجَين، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخيل بالريح والبرق، والنجوم بالدّرر والأزهار، والأسنان بالبَرَد والؤلؤ، والسفن بالجبال.

والجداول بالحيات الملتوية، والشيب بالنهار، ولمع السيوف وغرة الفرس بالهلال، والجبان بالنعامة والذبابة، واللئيم بالثعلب، والطائش بالفراش، والذليل بالوَتَد، والقاسيَ بالحديد والصخر، والبليد بالحمار، والبخيل بالأرض المجدبة.

وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة، فصاروا فيها أعلاما فجرى التشبيه بهم.

فيشبّه الوفيّ بالسموأل، والكريم بحاتم، والعادل بعُمر، والحليم بالأحنف، والفصيح بسَحبان، والخطيب بقسّ، والشجاع بعمرو بن معديكرب، والحكيم بلقمان، والذّكيّ بإياس.

واشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضا؛ فيشبّه العيّ بباقل، والأحمق بهبنّقة[1]، والنّادم بالكُسَعِيّ، والبخيل بمادر[2]، والهجّاء بالحُطيئة، والقاسي بالحجاج.

---

(١) اسم رجل، وحكي فى حماقته أنه اتخذ لنفسه طوقا من عظام ليعرف به نفسه وفُقِد وأصبح ذات يوم ورأى ذلك الطوق على أخيه، فقال يا أخى أنت أنا فمن أنا؟

(٢) من بخله أنه سقى إبله فشلخ في باقي الماء ومدر الحوض به لئلا يشرب آخر فضله فلذلك سمي ما درا واسمه مخاريق.

باب المجاز

وهو قسمان: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

فالمجاز العقلي: يبحث منه سبعة: حد، وأقسام، وأماكن، وأسماء، وعلاقات، وأمثلة، وقرائن.

فحده: إسناد الشيء إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له.

وأقسامه: باعتبار حقيقة طرفيه أو مجازيتهما أربعة: وهي: إما أن يكونا حقيقتين لغويتين، نحو: أنبت الرّبيع البقل، أو مجازيين لغويين، نحو: أحيى الأرض شباب الزمان، أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازا لغويا، نحو: أنبت البقل شباب الزمان، أو المسند مجازا لغويا والمسند إليه حقيقة لغوية، نحو: أحيى الأرض الربيع.

وينقسم أيضا إلى خبريّ وهو: ما احتمل الصدق والكذب، نحو: أنبت الربيع البقل، وإلى إنشائيّ وهو: ما ليس كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾[غافر:٣٦].

وأماكنه ثلاثة: النسبة الإسنادية، نحو: أنبت الربيع البقل، والنسبة الإيقاعية، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الشعراء:١٥١]، والنسبة الإضافية، نحو: مكر الليل.

وأسماؤه خمسة: مجاز في الإسناد، ومجاز في الإثبات، ومجاز عقليّ، ومجاز حكميّ، و مجاز إسناديّ.

وعلاقاته ستّ، وهي: إما أن يسند الفعل أو ما في معناه إلى سببه، نحو: بنى الأمير المدينة، فإن الأمير الذى أسند إليه الفعل سبب آمر للبناء، والباني حقيقة هو العَمَلة، ولكنّه أسند إلى السبب إسنادا مجازيا للمشابهة بين المسند إليه الحقيقي الذى هو العملة والمجازي الذى هو الأمير في تعلق الفعل بكلّ منهما، أما تعلّقه بالحقيقي فلأنه وقع منه، وأما تعلقه بالمجازي فلأنّه سبب وقوعه، والقرينة الصارفة: استحالة بناء الأمير للمدينة عادة.

أو إلى زمانه، نحو: نهاره صائم، فإن النهار الذى أسند إليه الصوم زمنه والصائم حقيقة هو الشخص، وقد أسند إلى الزمان إسنادا مجازيا للمشابهة بين الفاعل الحقيقيّ والمجازيّ في تعلّق الحدث الذى دلّ عليه صائم بكلّ منهما، أما تعلّقه بالفاعل الحقيقيّ فلوقوعه منه، وأما تعلّقه بالفاعل المجازيّ فلوقوعه فيه.

أو إلى مكانه، نحو: جرى النهر، فالجاري حقيقة هو الماء والنهر مكان لجريانه، وقد أسند إليه الفعل للمشابهة المذكورة.

أو إلى مفعوله وهو مبني للفاعل، نحو: عيشة راضية، فإن الراضية مبنية للفاعل وأسندت إلى ضمير المفعول به وهو عيشة لأنها مرضية، والراضي إنما هو صاحبها للمشابهة بينهما في تعلق الحدث الذى دلت عليه راضية بكلّ منهما، أما تعلّقه بالفاعل الحقيقي فلوقوعه منه، وأما تعلّقه بالفاعل المجازيّ فلوقوعه عليه، أو إلى مصدره، نحو جدّ جدّه، فإن الجدّ مصدر أسند إليه الفعل المبني للفاعل، للمشابهة بينهما في تعلّق الفعل بكل منهما، أما تعلّقه بالفاعل الحقيقي فلوقوعه منه، وأما تعلقه بالفاعل المجازيّ فلأنه جزء معناه.

أو إلى فاعله وهو مبني للمفعول، نحو: أُفعم السيلُ، فإن السيل فاعل حقيقي أسند إليه الفعل المبني للمفعول، لأنه المالئ والمملوء إنما هو الوادي، للمشابهة بينهما في تعلّق الفعل بكل منهما، أما تعلقه بالحقيقي فلوقوعه عليه وأما تعلقه بالمجازي فلوقوعه منه.

فتبيّن من ذلك أنّ العلاقة في هذا المجاز: هي مشابهة المسند إليه المجازي المسندَ إليه الحقيقي في تعلّق الفعل بكلّ منهما وإن اختلفت جهة التعلّق[1].

فحاصل ما تقدّم: أنّه إذا أسند الفعل أو ما في معناه للفاعل النحويّ، فإن كان مدلول ذلك الفاعل النحوي الذى أسند إليه الفعل أو معناه هو الفاعل الحقيقي كان الإسناد حقيقة وإلا كان مجازا، كما إذا كان الفاعل النحوي مصدرا أو ظرفا أو سببا أو مفعولا، كما في الأمثلة المتقدّمة، وكذلك إذا أسند الفعل أو ما دل على معناه لنائب الفاعل فإن كان ذلك النائب النحوي مدلوله هو المفعول الحقيقي كان ذلك الإسناد حقيقة وإلا كان مجازا، كما لو كان ذلك النائب النحوي مصدرا أو ظرفا بشرط أن لا يكون مجرورا بفي أو فاعلا.

وقرائنه قسمان: لفظية نحو: هزم الأمير الجند وهو في قصره، فقولك: وهو في قصره، قرينة على أن إسناد الهزم إليه مجاز، ومعنوية نحو: محبّتك جاءت بى إليك، لظهور استحالة قيام المجيء بالمحبّة.

وأمثلته: قد سبقت.

(١) قال الدسوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يقال حيث كانت علاقة المجاز المشابهة كان من الاستعارة لأنا نقول: الاستعارة لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة والاسناد ليس بلفظ.

والمجاز اللغويّ هو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ.

وهو قسمان: مجاز مرسل، واستعارة.

فالمجاز المرسل هو: ما علاقته غير المشابهة مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الأصليّ.

وله أقسام، وعلاقات، وقرائن.

فأقسامه اثنان: مفرد وهو الأكثر، ومركب، ولم يوجد للقوم تسمية له باسم يخصّه، وذلك كما في الجمل الخبرية التي أريد منها الإنشاء، نحو: قول الشاعر:

ذهب الصبا وتولّت الأيام … فعلىٰ الصبا وعلىٰ الزمان سلام

فإن هذا المركب موضوع للإخبار والمراد منه إنشاء التحزن والتحسر فقد استعمل في غير ما وضع له لعلاقة السببية، لأن الضدّ سبب في خطور ضدّه بالبال، وعلاقاته: ثماني عشرة علاقة.

الأولى: السببية، وهي: كون المعنى الأصليّ سببا للمعنى المراد، نحو: رعينا الغيث أي نباتا سببه الغيث أي المطر، فأطلق السبب وهو الغيث وأريد المسبب وهو النبات، والقرينة مقالية وهي «رعينا»، إذ الرّعي للنبات لا للغيث،

الثانية: المسببية، وهي كون المعنى الأصليّ مسببا عن المعنى المراد، نحو: أمطرت السماء نباتا أي غيثا يكون النبات مسببا عنه فأطلق المسبب وهو النبات وأريد السبب وهو الغيث عكس ما قبله، والقرينة مقالية وهي «أمطرت»، ونحو قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾[غافر:١٣]، أي مطرا يسبب الرزق.

الثالثة: الجزئية، وهي كون المعنى الأصليّ بعضا من المعنى المراد، كقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾[المجادلة:٣]، أي ذاتُ عبد أو أمة اشتملت على رقبة فأطلق الجزء وهو الرقبة وأريد الكلّ وهو الذّات، والقرينة مقالية وهي قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ﴾.

ونحو: رأيت العين، ففيه إطلاق الجزء وإرادة الكلّ.

ولكن يشترط في هذه العلاقة أحد أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن يكون للبعض المطلق على الكلّ مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكلّ، كما في إطلاق العين على الرقيب في المثال المتقدم، فإن المعنى المقصود هو الاطّلاع والتجسس وبانعدامها ينعدم معنى الرقابة.

الأمر الثاني: أن يكون انتفاء البعض مستلزما لانتفاء الكلّ، كما في إطلاق الرقبة على الذات في قوله تعالى: فتحرير رقبة مؤمنة، إذ يلزم من إعدام الرقبة إعدام الذات.

الأمر الثالث: أن يكون الجزء أشرف الأجزاء، كما في إطلاق القافية على القصيدة، نحو قول الشاعر:

وكم علّمته نظم القوافي فلمّا قال قافية هجاني

لأنّ القافية هي الأساس الذى تنبني عليه القصيدة فهي إذن أشرف التفاعيل.

الرابعة: الكلّية، وهي كون المعنى الأصلي متضمّنا للمعنى المراد، كقوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾[البقرة:١٩]،أي أناملهم، فأطلق الكلّ وهو الأصابع وأريد الجزء وهو الأنامل عكس ما قبله، والقرينة حالية، وهي استحالة

جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

وكقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء:٥٤]، أي محمّدا ﷺ، فأطلق الناس على سيدنا محمّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

حتى كأنّه هو النّاس جميعا لاتصافه بجميع الكمالات البشريّة، وهو من إطلاق الكل وإرادة البعض، والقرينة مقالية وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ﴾.

ونحو: شربت ماء النيل أي بعضه، والقرينة مقالية، وهي «شربت»

الخامسة: اعتبار ما يؤول إليه، وهي: كون المعنى الأصلي مستقبل الحصول، كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[يوسف:٣٦]، أي عنبا يؤول عصيره إلى كونه خمرا، فأطلق الخمر وأريد العنب والقرينة مقالية وهي قوله: «أعصر»، لأن الخمر عصير والعصير لا يُعصر

ونحو: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح:٢٧]، أي مولودا يؤول إلى كونه فاجرا بعد البلوغ، والقرينة حالية، وهي: استحالة ولادته مع الفجور.

السادسة: اعتبار ما كان، وهي كون المعنى الأصليّ سابق الحصول على المعنى المراد، كقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[النساء:٢]، أي البالغين الذين كانوا يتامى في الماضي، ثمّ بلغوا، والقرينة مقالية وهي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ﴾.

وشرط هذه العلاقة: أن لا ينعدم المعنى الأصلي بالكلية بل يزول عنه البعض ويبقى بعض، ألا ترى أن اليتيم لم يزل عنه إلا الصغر، وأما موت الأب فباق، ولذلك لا يجوز إطلاق الشاب على الكبير.

السابعة: المحلّية، وهي كون المعنى الأصليّ محلّا للمعنى المراد، كقوله

تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[العلق:١٧]، أي أهل ناديه الحالّين فيه وهو المجلس، فأطلق المحلّ وهو النادي وأريد الحالّ وهو أهله، والقرينة مقالية وهي قوله: ﴿ فَلْيَدْعُ ﴾.

وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾[آل عمران:١٦٧]، أي بألسنتهم الحالّة في الأفواه، فأطلق المحلّ وهو الأفواه وأريد الحالّ وهو الألسنة، والقرينة مقالية وهي: ﴿يَقُولُونَ ﴾.

الثامنة: الحالّية، وهي كون المعنى الأصليّ حالّا في المعنى المراد، كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[آل عمران:١٠٧]، أي ففي الجنّة التي تحلّ فيها الرحمة فأطلق الحالّ وهو الرحمة وأريد المحلّ وهو الجنة عكس ما قبله، والقرينة مقالية وهي: ﴿فَفِي﴾.

وكقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾، أي ثيابكم فأطلق الحالّ وهو الزينة وأريد المحلّ وهو الثياب والقرينة حالية وهي: استحالة أخذ الزينة.

والتاسعة: الآلية، وهي كون المعنى الأصليّ آلة للمعنى المراد، كقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾[الشعراء:٨٤]، أي ذكرا حسنا فأطلق اللسان وأريد الذكر الحسن والقرينة حالية وهي: استحالة بقاء هذا العضو بمعناه الحقيقي فيمن يأتي بعده من الأمم.

والعاشرة: المجاورة، وهي كون الشيء مجاورا لآخر في مكانه أي متصلا به اتصالا يعدّ في العرف مجاورة، نحو: شربت من الراوية أي القربة وهي في الأصل اسم للبعير الذى يحملها، ونحو: كلّمت الجدار أي زيدا الجالس بجواره، فقد ذكر الراوية والجدار وأريد القربة والجالس بجواره والقرينة مقالية وهي: «شربت وكلّمت».

والحادية عشرة: اللازمية، وهي كون الشيء المذكور يجب وجوده عند وجود شيء آخر، نحو طلع الضوء اي الشمس فأطلق اللازم.

وهو الضوء وأريد الملزوم وهو الشمس، والقرينة مقالية وهي «طلع».

والثانية عشرة: الملزومية، وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو ملأت الشمس المكان أي الضوء فأطلق الملزوم وهو الشمس وأريد اللازم وهو الضوء والقرينة مقالية وهي «ملأت».

والثالثة عشرة: العموم، وهي كون الشيء المذكور شاملا لكثير نحو: رأيت العالم أي العامل بعلمه فأطلق العام وهو العالم وأريد الخاص وهو العامل بعلمه، والقرينة حالية وهي المدح.

والرابعة عشرة: الخصوص، وهي كون الشيء المذكور خاصا بشيء واحد، نحو: ائتمرت قريش، أي القبيلة فأطلق الخاص وهو قريش اسم رجل وأريد العام وهو القبيلة، والقرينة مقالية وهي: «ائتمرت».

والخامسة عشرة: البدلية، وهي كون الشيء المذكور بدلا عن شيء آخر، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[النساء:١٠٣]، أي أديتم فأطلق البدل وهو القضاء، وأريد المبدل منه وهو الأداء، لأن القضاء الشرعي بدل عن الأداء، والقرينة مقالية وهي الآية الأولى.

والسادسة عشرة: المبدلية، وهي: كون الشيء مبدلا منه شيء آخر، نحو: أكلت دم زيد أي ديته فأطلق المبدل منه وهو الدم وأريد البدل وهو الدية

والقرينة مقالية وهي «أكلت».

والسابعة عشرة: الدالية، وهي كون الشيء المذكور دالا على شيء آخر، نحو: فهمت الكتاب أي معناه فأطلق الدالّ وهو الكتاب وأريد المدلول وهو المعنى والقرينة مقالية وهي «فهمت».

والثامنة عشرة: التعلّق الاشتقاقي، وهو إقامة صيغة مقام صيغة أخرى، كإطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل:٨٨]، أي مصنوعاته

وكإطلاق اسم المفعول وإرادة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥]، أي ساترا.

وكإطلاق اسم الفاعل وإرادة المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢]، أي تكذيب.

وكإطلاق اسم الفاعل وإرادة اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤٣]، أي لا معصوم.

وقرائنه: قسمان: حالية، ومقالية، كما تقدّم في الأمثلة السابقة.

والقرينة: هي الأمر الذى يجعله المتكلّم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، ويشترط أن تكون مانعة، لا معيّنة.

والفرق بين المانعة والمعيّنة: أن الأولى لا تفصح عن المراد، وإنما تمنع من إرادة المعنى الأصلي، بخلاف الثانية فإنها تفصح عن المراد، ويلزم من ذلك أنها تمنع من إرادة المعنى الأصليّ، فكلّ معينة مانعة ولا عكس.

والاستعارة يبحث منها ستة: حد، وأركان، وكيفية بناء، وأقسام، وقرائن، وأمثلة.

فحدها: لغة: طلب العارية.

واصطلاحا: مجاز لغوي علاقته المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ.

وأركانها: أربعة: مستعار وهو اللفظ، ومستعارمنه وهو المشبه به، ومستعارله وهو المشبّه، وجامع وهو وجه الشبه.

وكيفية بنائها: أن يؤتى بأركان التشبيه جميعا، فإن كانت الاستعارة مصرّحة حذف الجميع إلا المشبه به ويؤتى بقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ، وإن كانت مكنية حذف الجميع إلا المشبّه ويؤتى بما هو من لوازم المشبّه به ويسند إلى المشبّه، نحو: رأيت رجلا كالأسد في الشجاعة، ونحو: نشبت المنيّة التي كالسبع بفلان.

فتقرير التصريحية في المثال الأوّل أن يقال: شبّه الرّجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة وادّعي أنه فرد من أفراده ثم تنوسي التشبيه واستعير لفظ المشبّه به للمشبّه وأتي بقرينة مانعة فصار رأيت أسدا يصلّى.

وتقرير المكنية في المثال الثاني أن يقال: شبهت المنية بالسبع بجامع اغتيال النفوس في كلّ من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار وادّعي أنها فرد من أفراده ثم تنوسي التشبيه واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأتي بما هو من لوازمه وهو الأظفار فصار نشبت أظفار المنية بفلان.

وأقسامها باعتبارات ستة:

فتنقسم باعتبار طرفي التشبيه تارة: إلى مصرّحة ومكنية: فإن حذف المشبّه

فالاستعارة مصرّحة وإن حذف المشبّه به فالاستعارة مكنية.

وتارة: إلى عنادية ووفاقية، فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما، والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي، ومثالهما: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام:١٢٢]، أي ضالا فهديناه، ففي هذه الآية استعارتان: الأولى: في قوله: ﴿مَيْتًا﴾ فنقول في إجرائها: شبّه الضلال بالموت بجامع ترتب عدم الانتفاع في كلّ واستعير الموت للضلال واشتقّ من الموت بمعنى الضلال ميتا بمعنى ضالا، وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد، والثانية: في قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ فنقول في إجرائها: شبّهت الهداية بالإحياء بجامع النفع في كلّ واستعير الإحياء للهداية واشتقّ من الإحياء بمعنى الهداية أحيينا بمعنى هدينا، وهي وفاقية، لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

وباعتبار المستعار إلى أصلية وتبعية:

فالاستعارة الأصلية: هي الّتي تقع في اسم غير مشتقّ، والاستعارة التبعية: هي التي تقع في غير ذلك وهو الفعل والاسم المشتقّ والحرف.

وتوضيح ذلك: أنه قد علم في علم الصّرف أن الفعل واسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان والزمان والآلة ونحوها مشتقات من المصدر، مثل الضرب فهو مصدر اشتقّ منه ضرب ويضرب واضرب وضارب ومضروب ومَضرِبة ومِضرَبة، فالمصدر اسم غير مشتقّ أي غير مأخوذ من غيره بل غيره أخذ منه، وكذلك النكرات الدّالّة على ذات غير معيّنة مثل رجل وامرأة وأسد،

فهذه أسماء غير مشتقّة أي لم تؤخذ من غيرها.

فاتّضح من ذلك أن غير المشتقّ يشمل المصدر والنكرة، وأن المشتقّ يشمل الفعل واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة.

فإذا علمت هذا: فتقول: إذا وقعت الاستعارة في الاسم غير المشتقّ سمّيت أصلية، وإذا وقعت في غيره من الفعل واسم الفعل والاسم المشتقّ والحرف سميت تبعية.

نحو: رأيت أسدا يصلّى فهذه استعارة أصلية لجريانها في اسم غير مشتقّ.

ونحو: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:١] فنقول في إجرائها: شبّه الضلال بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كلّ واستعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلال على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

ونحو: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤]، فنقول في إجرائها: شبّه الذلّ بطائر بجامع الإنحطاط في كلّ، لأن الطائر إذا خفض جناحيه انحطّ إلى الأرض ولصق بالتراب، وكذلك إذا ذلّ الشخص انحطّ ولصق بالتراب واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبّه وهو الذّلّ ثم حذف الطّائر ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية.

ونحو: نطقت الحال، فنقول: شبّهت الدّلالة بالنّطق في إيضاح المعنى وإيصاله للذهن واستعير النّطق للدلالة واشتقّ من النّطق بمعنى الدلالة نطقت بمعنى دلّت.

على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: يحيى الأرض، فنقول في إجرائها: شبّه تزيينها بالنبات ذي الخضرة بالإحياء بجامع الحسن أو النفع في كلّ واستعير الإحياء للتزيين واشتقّ من الإحياء بمعنى التزيين يحيى بمعنى يُزيّن، على الاستعارة التصريحية التبعية.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[النحل:١]، فنقول في إجرائها: شبّه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع التحقّق في كلّ واستعير لفظ المشبه به «وهو الإتيان في الماضي» للمشبه «وهو الإتيان في المستقبل» واشتقّ منه «أتى» بمعنى يأتي، وهذه الاستعارة باعتبار هيئته.

ونحو: هيهات الشيء، فنقول في إجرائها: شبه العسر بالبعد بجامع منع التحصيل وعدم النيل واستعير لفظ البعد للعسر واشتقّ من البعد بمعنى العسر بَعُد بمعنى عَسُر وجعل هيهات بمعنى بعد المستعار لمعنى عسر.

ونحو: زيد قاتل عمرا، فنقول في إجرائها: شبّه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدّة الإيذاء في كلّ واستعير اسم المشبّه به للمشبّه واشتقّ من القتل بمعنى الضرب الشديد

قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ونحو: هذا حسن الوجه مشيرا إلى قبيحه، فنقول في إجرائها: شبّه القبح بالحسن بجامع تأثّر النفس في كلّ واستعير الحسن للقبح واشتقّ من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على الاستعارة التصريحية التبعية وهذا على سبيل التهكّم

ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]، فنقول في إجرائها: شبّه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معانى الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكلّ جزئيّ من جزئيات الظرفية لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ونحو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٨]، فنقول في إجرائها: شبّه مطلق ترتّب علّة واقعية- وهي العداوة والحزن المطلقين - على فعل بمطلق ترتّب علة غائية - وهي: التي تحمل على تحصيله لتحصل بعد حصوله- على فعل بجامع مطلق الترتّب في كلّ فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ثم استعمل في جزئي المشبّه اللام الموضوعة لجزئي المشبّه به على الاستعارة التصريحية التبعية.

ثمّ اعلم أنه لا يُشترط أن يكون للمشبّه حرف موضوع له يدلّ عليه.

فائدة: الاستعارة المكنية التبعية لا تكون إلا في الاسم المشتقّ:

نحو: يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، فنقول في إجرائها: شبّه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كلّ واستعير القتل للضرب الشديد واشتقّ من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ثمّ حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

تنبيه: قد علمت أن استعارة الحرف تبعية:

لعدم استقلال معناه بالمفهومية أي توقف انفهام معناه منه على ذكر أمر خارج.

وتوضيح ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمة، فنقول:

قال بعض العلماء: اعلم: أن نسبة البصيرة إلى مدركاتها كنسبة البصر إلى مبصراته، وأنت إذا نظرت في المرآة وشاهدت صورة فيها

فلك هناك حالتان:

الأولىٰ: أن تكون متوجّها إلى تلك الصورة مشاهدا إياها قصدا جاعلا المرآة آلة في مشاهدتها، ولا شكّ أن المرآة مبصرة في هذه الحالة لكنها ليست بحيث يقدر بإبصارها على هذا الوجه على أن يحكم عليها ويلتفت إلى أحوالها، لأنها غير مبصرة قصدا ولا يحكم على الشيء إلا إذا كان مقصودا لذاته والمبصر قصدا في هذه الحالة هو الصّورة فلك الحكم عليها بالحسن أو القبح.

الثانية: أن تتوجه إلى المرآة نفسها وتلاحظها قصدا فتكون صالحة لأن يحكم عليها وتكون الصورة حينئذ مشاهدة تبعا غير ملتفت إليها، فظهر أن من المبصرات ما يكون تارة مبصرا وأخرى آلة لإبصار الغير، فقس على ذلك المعاني المدركة بالبصيرة أعنى القوة الباطنة واستوضح ذلك من قولك «قام زيد» وقولك «نسبة القيام إلى زيد» إذ لا شكّ أنك تدرك فيهما نسبة القيام إلى زيد إلا أنها في الأوّل مدركة من حيث إنها حالة بين زيد والقيام وآلة لتعرّف حالهما فكأنها مرآة تشاهدهما بها مرتبطا أحدهما بالآخر.

ولذلك لا يمكنك أن تحكم عليها ما دامت مدركة على هذا الوجه، وفي الثاني مدركة بالقصد ملحوظة في ذاتها بحيث يمكنك أن تحكم عليها بأن تقول: نسبة القيام إلى زيد خير من نسبة غيره إليه، فهي على الوجه الأوّل معنى غير مستقلّ بالمفهومية، وعلى الثاني معنى مستقلّ بها، وكما يحتاج إلى التعبير عن

المعاني الملحوظة بالذات المستقلّة بالمفهومية يحتاج إلى التعبير عن المعاني الملحوظة بالغير التي لا تستقلّ بالمفهومية.

إذا تمهّد هذا: فاعلم: أن الابتداء مثلا معنى هو حالة لغيره ومتعلق به، فإذا لاحظه العقل قصدا وبالذات مطلقا عن التقييد بمتعلق خاص كان معنى مستقلا بنفسه ملحوظا في ذاته صالحا لأن يحكم عليه ويلزم منه إدراك متعلّقه إجمالا وتبعا بأن يتعقل مبتدأ لا بقيد كونه سيرا ومبتدأ منه لا بقيد كونه البصرة، وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظ الابتداء، وكذا إذا لاحظه قصدا وبالذات متعلقا بمتعلّق خاص كأن يلاحظ ابتداء السير الواقع عند البصرة ويقول ابتداء سيرى من البصرة.

إذ لا يخرجه ذلك عن الاستقلال وصلاحية الحكم عليه.

وأما إذا لاحظه من حيث هو حالة بين السير والبصرة وآلة لتعرف حالهما كان معنى غير مستقل بنفسه لا يصلح لأن يحكم عليه وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظة من، وهذا معنى ما قيل: إن الحرف وضع باعتبار استحضار معنى عامّ وهو نوع من النسبة كالابتداء مثلا لكلّ فرد من ذلك النوع ككلّ ابتداء معيّن بخصوصه، والنسبة لا تتعيّن إلا بالمنسوب إليه، فما لم يذكر متعلق الحرف لا يفهم فرد من ذلك النوع فهو غير مستقلّ بالمفهومية.

وقد بان بهذا: أن الوضع في الحرف عام والموضوع له خاص لأن الواضع وضع الحرف بواسطة استحضار أمر عام لكل فرد من أفراد ذلك العام بخصوصه من حيث إنه نسبة ملحوظة بالتبع وآلة لملاحظة الغير وارتباط لأمر بآخر فمعانى الحروف روابط فقط، وإذ قد بان لك كل البيان أن معنى الحرف

غير مستقل بالمفهومية علمت أنه لا يجرى فيه التشبيه والاستعارة أصالة واستقلالا، لأن التشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا بوجه الشبه.

ولا يصلح للموصوفية إلا الأمور المستقلّة بالمفهومية، فيجب أن يعتبر التشبيه أوّلا في الأصل الذى يرجع إليه معنى الحرف ويسمّى عند علماء البيان متعلق معنى الحرف وهو المعنى الكلي لمعنى الحرف الجزئي المعبر باسمه عن معنى الحرف للحاجة إذ ليس لمعناه الجزئي اسم مخصوص وذلك المتعلّق كالابتداء والظرفية والاستعلاء، ثم يعتبر سريان التشبيه إلى معنى الحرف فيستعار لفظ المشبه به للمشبه، مثلا في استعارة لفظ «من» لمعنى «في» نعتبر تشبيه الظرفية الكلية بالابتداء الكلي وسريان التشبيه إلى فرديهما المستفادين من «فى» و «من» فنستعير بناء على هذا التشبيه الحاصل بالسراية كلمة «من» الموضوعة للابتداء الجزئي المشبه به للظرفية الجزئية المشبهة الموضوع لها كلمة «في».

وباعتبار الملائم إلىٰ مرشّحة ومجردة ومطلقة:

فالمرشّحة: ما ذكر معها ملائم المستعار منه، نحو: رأيت أسدا يصلّى له لبد.

ونحو: نطق لسان الحال بكذا، فنقول في إجرائها: شبّهت الحال بالإنسان واستعير لفظ المشبه به للمشبّه.

ثمّ حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (لسان) تخييلا، والنطق ترشيح لأنه يلائم المشبه به.

والمجرّدة: ما ذكر معها ملائم المستعار له، نحو: رأيت أسدا يصلّى

ويغتسل في الحمام.

ونحو: نطقت الحال الواضحة بكذا، فالوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه الذى هو الحال.

والمطلقة: ما خلت من ملائماتهما أو ذكر معها كلّ من ملائم المستعار منه والمستعار له بشرط أن تساويا، نحو: رأيت أسدا يصلّى.

ونحو: ﴿**يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ**﴾[البقرة:٢٧]، فنقول في إجرائها: شبّه إبطال العهد بفكّ طاقات الحبل بجامع عدم النفع في كلّ واستعير اللفظ الدّالّ على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الإبطال، واشتقّ منه ينقضون بمعنى يبطلون على الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة.

ونحو قول الشاعر:

لدىٰ أسد شاكي السلاح مقذّف ... له لبد أظفاره لم تقلّم

استعار الأسد للرجل الشجاع وذكر ما يناسب المستعار له في قوله: شاكي السلاح وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله: له لبد وهو الترشيح، واجتماع الترشيح والتجريد يؤدى إلى تعارضهما وسقوطهما فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة، هذا إن قطعنا النظر عن قوله: مقذّف وقوله: أظفاره لم تقلّم لأنّهما يلائمانهما، فإن نظرنا ملاءمتهما للمستعار منه فترشيحان فيكون في البيت ثلاث ترشيحات بمقابلة تجريد واحد، وإن نظرنا ملاءمتهما للمستعار له فتجريدان فيكون في البيت ثلاث تجريدات بمقابلة ترشيح واحد.

تنبيه: اعتبار الترشيح والتجريد:

إنما يكون بعد تمام الاستعارة بذكر القرينة فلا تعدّ قرينة المصرّحة تجريدا ولا قرينة المكنية ترشيحا.

واعلم: أن الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادّعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه لا شيءٌ شبيه به وكأن الاستعارة غير موجودة.

والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع لأنّ به تضعف دعوى الاتّحاد.

و باعتبار إفرادها وتركيبها إلى مفردة ومركّبة:

فالمفردة هي: التي يكون المشبه به فيها كلمة، وكلّ ما مرّ من الأمثلة من هذا النوع.

والمركّبة هي: اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بحيث يكون كلّ من المشبّه والمشبّه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل الصورة المشبّهة في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه، وتسمّى بالاستعارة التمثيلية، والأمثال التي يتداولها الناس فيما بينهم كلها من هذا الباب.

نحو: الصيف ضيعتِ اللبن، يضرب لمن فرّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه ثم طلبه في زمن لا يمكنه، وأصله أن امرأة كانت

متزوّجة بشيخ غنيّ فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه فطلّقها وتزوّجت بشاب فقير ثم طلبت من مطلّقها لبنا وقت الشتاء فقال ذلك المثل.

فنقول في إجرائها: شبهت هيئة من فرّط في أمر زمن إمكان تحصيله بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط في كلّ واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

ونحو: إني أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى، يضرب لمن يتردّد في أمر فتارة يقدم وتارة يحجم.

فنقول في إجرائها: شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله بهيئة من يتردد في الدخول فتارة يقدّم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

ونحو: أحشفا وسوء كيلة، يضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله أن رجلا اشترى تمرا من آخر فإذا هو رديء وناقص الكيل فقال المشترى ذلك.

فنقول في إجرائها: شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمرا رديئا وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كلّ، واستعير الكلام الموضوع للمشبّه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

ونحو: لأمر جدع قصيرٌ أنفه، يضرب لمن يحتال على حصول أمر خفيّ وهو متستّر تحت أمر ظاهر، فنقول في إجرائها: شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفيّ يريده بهيئة الرجل المسمى قصيرا حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزبّاء بجامع الاحتيال في كلّ، واستعير الكلام

الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

ونحو: تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها، يضرب لمن لا يفضّل الدنايا على الرزايا.

ونحو: اليد لا تصفق وحدها، يضرب لمن يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه، وقس على ذلك.

ومثل ذلك ما نزّل منزلة المثل، لأن الغرض من المثل تشبيه مضربه أي الحالة التي يضرب لها ويستعمل فيها بمورده أي الحالة التي ورد فيها وكان سببا لإنشائه، ولهذا يمتنع تغيير ألفاظه الأصلية وإن لم تطابق المضرب، فيجعل في مشكل أقوال المشايخ حال من قيل على لسانه ذلك القول من عشاق الأشباح المنتزع من معناه الظاهري موردا والحال الذوقي الوجداني للعارف مضربا.

ويشبّه الثاني بالأوّل ويستعار له تركيبه وهو ذلك القول، كقول بعض العارفين:

قلبي يحدّثني بأنّك متلفي ... روحي فداك عرفت أم لم تعرف

فيجعل كأنّه مَثَلٌ مورده حال عاشق استغرق العشق قلبه ولم يلح له أدنى مرتبة من مراتب الوصول فاستشعر بالتلف، فقال: قلبي يحدثني بأنك متلفي، فلما أوهم قوله ذلك الملل والسآمة والإعراض عن طريق المحبة لفوات الوصال الذى هو المقصود بالذات لكثير من العشاق تبرّأ من ذلك على أبلغ وجه بقوله: روحي فداك إلخ، فأفهم أنه لا غرض له أصلا غير ذات المحبوب؛ إذ أدنى ما يريده العاشق المعتاض علم المحبوب بهلاك محبّه في محبّته، فمن رضي بأن يهلك فداء لمحبوبه ولا يشعر به المحبوب أصلا فهو في غاية الإخلاص في المحبة، فاستعار الشيخ الألفاظ من حالة هذا العاشق لحالته الذوقية الوجدانية له من غير تغيير اللفظ منها وإن كانت لا تطابقها.

وللشيخ عبد الغني النابلسي رسالة في معنى هذا البيت سمّاها «النظر المشرف في معنى عرفت أم لم تعرف».

وقس على ذلك ما ثبت من كلام العارفين وأشكل عليك[1]، واعلم أن

---

(١) هذا إن ثبت عنهم وأما ما لم يثبت فننفى عنهم وهو كثير جدا فيما ينقل عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال الشيخ الإمام المفتي تقي الدين أبو الفرج الواسطي الشافعي محدث واسط المتوفّى ببغداد سنة أربع وأربعين وسبعمائة في كتابه «ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين».

ما نصّه: أخبرني الشيخ الزاهد العارف محمد بن عدنان المشهدي المعروف بابن الصناديقي الشريف البغدادي عن الشيخ الصالح المعمّر البركة يوسف أبى زكريا العسقلاني الحنبلي أنه سأل من الشيخ البركة محمد بن على بن إدريس اليعقوبي أحد أركان طريق القوم عن الذى يُسمع في هذه الأزمنة وينقل عن لسان الشيخ عبدالقادر الجيلاني قدّس الله سرّه من الشطوحات والكلمات المشوبة بالعجب والدعوى والتجاوز وغير ذلك من الألفاظ التي يردّها الشرع مثل قولهم إنه يقول: قال لي ربى يا غوث الأعظم «أكل الفقير أكلى».

وقوله للخضر «إن كنتَ قلتَ لموسى إنك لن تستطيع معي صبرا فأنت لن تستطيع معي صبرا».

وقوله «أنا أحفظ مريدي في غيبته وحضوره ومريدي لا يدخل النار ولو كان على سبيل مكروه إن كان مريدي رديّا فأنا جيد».

وقوله «قدمي على رقبة كلّ وليّ لله».

وقوله للميت «قم بإذني».

وأمثال ذلك هل وقع ذلك وأمثاله منه وهل هذا صحيح وله وجه عند العارفين فقام منزعجا وجلس.

ثم قال: جلستُ مع الشيخ عبدالقادر وأكلت معه ونمت معه وسافرت معه وحضرت معه فو الله ما رأيته تحرّك بحركة ولا سمعتُه تكلّم بكلمة تخالف الشرع الشريف أبدا.

الشيخ عبدالقادر رجل عارف عابد زاهد خائف خاشع ذو مجاهدة وأوراد وأذكار كثير البكاء مخلص واعظ عالم عاقل ورع عامل بعلمه محبّ لأهل الحق مبغض لأهل الباطل ينفر من الفاسقين ويقبل على الصالحين له وجد وحال وذوق وكشوفات وكرامات وأحوال صالحة وتقرير عذب وسمت حسن وحرمة في قلوب أهل الدين وصيت حميد وخلوات طيّبة وجلوات مباركة ونصح للمسلمين ومواساة للمساكين معظّم لحرمات الشيوخ معترف بمقاديرهم يعدّ نفسه دونهم ويقف مع الحق ويخشع لله.

=

الإيمان المتيقّن وأحوال هؤلاء العارفين المتواترة عنهم من لزوم الأدب الشرعيّ قرينة حالية تصرف اللفظ عن حقيقته التي توجب الكفر، فاتّق الله في تكفير أهل الله.

و تنقسم التمثيلية إلى قسمين: تحقيقية وتخييلية، فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا كما في الأمثلة السابقة، والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيّلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾[الأحزاب:٧٢]، فإنه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقة بل هذا تصوير وتمثيل، بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها بحال أنها عرضت على هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها فامتنعن وخفن من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كلّ ثم استعير التركيب الدالّ على المشبه به للمشبه استعارة تمثيلية، فالتخييلية عند البيانيين تطلق على هذه وعلى قرينة المكنية.

وهذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفردا أو مركّبا، إذ مبناها تشبيه التمثيل

=

كنت معه يوما في الطريق وهو يروح إلى مدرسته فرينا شابا سكرانا فانتهره الشيخ عبدالقادر وأغلظ عليه فالتفت إليه الشابّ وقال يكفيك يا عبد القادر ، فالذي جعلك شيخا زاهدا وجعلني شابا مخمورا يقدر على تبديل الحال في الحال فاصفرّ لون الشيخ وأخذ نعله بيده وفرّ هاربا يرتعد ويقول اللهمّ لطفك يا أرحم الراحمين ولا زال مدهوش الخاطر كلّ ذلك اليوم.

فمن كان حاله هذا كيف يتجرّأ على الله وأوليائه ويقول ما ذكرتَ؟!

وإني شيخ معمّر ولم أسمع بهذا إلا هذه الأيام فعلى واضع هذه الكلمات من الله ما يستحقّ.

الذى قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة، ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه محطّ أنظار البلغاء لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها ويتفاوتون في إصابته، حتى كثرا في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

وباعتبار المستعار له إلى تحقيقية وتخييلية عند السكاكيّ: فإن كان المستعار له محققا حسّا بأن يكون قد نقل إلى أمر معلوم يمكن أن يشار إليه إشارة حسية كقولك رأيت بحرا يعطى، أو كان محققا عقلا بأن يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه إشارة عقلية كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة:٦]، أي الدين الحق فالاستعارة تحقيقية.

وإن لم يكن المستعار له محققا لا حسا ولا عقلا فالاستعارة تخييلية، وذلك كالأظفار في قولك: أنشبت المنية أظفارها بفلان فإنّه لما شبهت المنية بالسبع أخذت القوّة المفكّرة تتخّيل للمنيّة صورة شبيهة بالأظفار فشبّهت الصّورة المتخيّلة بالصورة المحققة واستعير لفظ الأظفار من الصورة المحقّقة إلى الصّورة المتخيّلة على طريقة الاستعارة التخييلية، وسميت تخييلية لأنّ إثبات الأظفار للمشبّه خيّل اتّحاده مع المشبّه به وأما عند الجمهور فهي من المجاز العقليّ، وتسميتها استعارة تسمية لغوية، لأنه نقل للمشبه إثبات الأمر الذى يخصّ المشبّه به.

والمعتمد أن يقال: إذا لم يكن للمشبه المذكور تابع يشبه رادف المشبه به كان باقيا على معناه الأصلي وكان إثباته له استعارة تخييلية كأظفار المنية، وإن

كان له تابع يشبه الرادف المذكور كان مستعارا لذلك التابع على طريق التصريح كما في قوله: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٧]، فإن المشبه الذى هو العهد له تابع وهو الإبطال يشبه ذلك الرادف وهو النقض فيكون لفظ النقض مستعارا للإبطال على سبيل الاستعارة التصريحية.

وباعتبار الجامع: إلى عامية و خاصية، فالعامية: هي القريبة المبتذلة التي لاكتها الألسن فلا تحتاج إلى بحث ويكون الجامع فيها ظاهرا، نحو رأيت أسدا يرمى، والخاصية: هي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضا لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص.

نحو قوله:

وإذا احتبىٰ قربوسَه بعنانه علك الشكيم إلىٰ انصراف الزائر

شبّه ضم الفرس قربوسه إلى فمه بالعنان بضمّ المحتبى ركبتيه إلى ظهره، بتنزيل القربوس منزلة الركبتين والفم منزلة الظهر لأن القربوس أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل وكذا موضع ما يحتبى به من الظهر، فاستعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لجمع القربوس وفم الفرس بالعنان، وهذه الاستعارة غريبة لغرابة التشبيه ولا يظفر باقتطاف ثمارها إلا ذوو الفِطَر السليمة والخبرة التامّة.

وقرائنها: قسمان: حالية، ومقالية، كالمجاز المرسل.

وأمثلتها: مرّت بك.

فائدة: الاستعارة باعتبار الجامع والطرفين خمسة أنواع:

استعارة حسي لحسي لوجه حسي، نحو: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم:٤]، فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع بينهما هو الانبساط والانتشار، وهذه الأمور كلها حسية، وهذه استعارة بالكناية.

واستعارة حسي لحسي لوجه عقلي، نحو: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [الذاريات:٤١]، فالمستعار منه هو المرأة والمستعار له هو الريح وهما حسيان ووجه الشبه المنع من ظهور الأثر والنتيجة وهو أمر عقلي، والاستعارة هنا مكنية وقرينتها العقيم، وهو استعارة تخييلية.

واستعارة عقلي لعقلي لوجه عقلي، نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[يس:٥٢]، فالرقاد وهو النوم مستعار للموت على سبيل التصريح وهما عقليان ووجه الشبه وهو عدم ظهور الأفعال فيهما عقلي أيضا.

واستعارة حسي لعقلي لوجه عقلي، نحو: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة:٢١٤]، فالمستعار منه وهو المسّ في الأجسام حسي والمستعار له وهو مقاساة الشدّة عقلي وكذا الجامع بينهما وهو اللحوق.

واستعارة عقلي لحسي لوجه عقلي، نحو: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾[الحاقة:١١]، فالمستعار منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع الاستعلاء المفرط وهو أيضا عقلي.

تنبيهان: الأول: في مفارقة الاستعارة بالكذب.

فاعلم: أن الاستعارة تفارق الكذب بوجهين: بما فيها من دعوى دخول

المشبّه في المشبّه به بواسطة التأويل، وهو جعل أفراد المشبّه به قسمين متعارفا وغير متعارف، وبنصب القرينة التى تصرف عن الظاهر و تمنع من إرادة الموضوع له وتجعل السامع يتطلب باللفظ غير الموضوع له وأما في الكذب فلا تأويل ولا نصب قرينة تصرف عن الظاهر، لأنّ الكاذب يروّج دعواه بقدر المستطاع، وبهذا يردّ على من أنكر وقوع المجاز في القرآن زاعما أنّه من الكذب.

الثاني: في الاستعارة بالأعلام

فاعلم: أن الاستعارة تقتضى التأويل حتى يمكن إدراج المشبّه في المشبّه به، وعلم الشخص لا يمكن فيه ذلك ما دام معناه متحدا ومانعا من الشركة فيه فلا تتأتّى فيه الاستعارة، إلا أن علم الشخص إذا اشتهر بصفة تجعله في قوّة الموضوع لمفهوم كلّيّ دالّ على كثيرين أمكنت فيه الاستعارة.

ومثال ذلك حاتم المشتهر بالجود ومادر المشتهر بالبخل وعنترة المشتهر بالشجاعة.

وإذاً يصحّ أن يشبّه شخص كريم بحاتم في الكرم، وآخر بخيل بمادر في البخل، وآخر شجاع بعنترة في الشجاعة، ثم يستعار العلم للمشبّه.

وحاصل ما يُعتبر عند ما يراد الاستعارة في العلم أربعة أعمال:

الأول: التأويل وهو أن يلاحظ اشتهار العلم بصفة تجعله في قوّة الموضوع لمفهوم كلّيّ قوّة قريبة من الفعل حتى كأنه بذلك يطلق على كلّ من له الصفة المذكورة كالجود والبخل والشجاعة.

فحاتم مثلا كأنه موضوع لكل شخص بالغ الغاية في الجود مع الشهرة، ومادر كأنه موضوع لكل بالغ الغاية في البخل مع الشهرة، وعنترة كذلك.

العمل الثاني: أن يُشبّه من له الوصف كالجود من غير شهرة بمن له الوصف مع الشهرة.

العمل الثالث: أن يُتناسى التشبيه و يدّعى دخول المشبّه في جنس المشبّه به بواسطة جعل أفراده قسمين: قسما متعارفا وهو من له الوصف مع الشهرة وقسما غير متعارف وهو من له الوصف من غير شهرة.

العمل الرابع: أن يؤخذ اللفظ أي لفظ العلم ممن له الوصف مع الاشتهار ويُعطى لمن له الوصف من غير اشتهار.

هذا هو إجراء الاستعارة في العلم، والمعتمد أنها أصلية.

أما في غيره فيقتصر على الأعمال الثلاثة الأخيرة.

وحاصلها: أنّك إذا أردتَّ أن تستعير الأسد للرجل الشجاع تشبّه الرجل الشجاع بالأسد ثم تتناسى التشبيه وتدّعى أن الرجل الشجاع صار من أفراد الأسد بواسطة جعل الأفراد قسمين متعارفا وغير متعارف ثم تستعير الأسد للرجل الشجاع.

خاتمة: يشترط لحسن الاستعارة شرطان:

أحدهما رعاية جهات التشبيه، كأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين بأن يكون متحققا فيهما وذلك كالشجاعة مثلا في زيد والأسد، فإذا وجد وجه الشبه في أحدهما

دون الآخر فات الحسن كاستعارة اسم الأسد للجبان من غير قصد التهكم، وأن يكون غير مبتذل، وأن يكون التشبيه موفيا بالغرض الذى قصد إفادته كبيان إمكان المشبه أو تشويهه أو تزيينه.

والثاني: أن لا يشمّ رائحته لفظا، لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعنى ادّعاء دخول المشبه في جنس المشبه به.

ثمّ اعلم: أن شم رائحة لفظ التشبيه إما أن يكون ببيان المشبه كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[البقرة:١٨٧]، فإن قوله «من الفجر» هو المشبه بالخيط الأبيض، والكلام وإن لم يكن على صورة التشبيه لكن لما فسر الخيط الأبيض بالفجر كان التشبيه مقدّرا، فهو في تقدير حتى يتبين لكم الفجر الذى هو شبيه بالخيط الأبيض، وإما أن يكون بذكر وجه الشبه نحو رأيت أسدا في الشجاعة لأن ذكر وجه الشبه ينبئ عن التشبيه ويهدى إليه في التركيب، وإما أن يكون بذكر الأداة نحو زيد كالأسد، وإما أن يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبئ عن التشبيه كما في قوله: «قد زرّ أزراره على القمر» فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب لكن ليس على وجه ينبئ عن التشبيه، فإشمام رائحة لفظ التشبيه في الثلاثة الأول مبطل للاستعارة، وأما إشمام رائحته على الوجه الرابع فلا يبطلها إلا أنها تكون قبيحة.

باب الكناية

ويبحث منها ثلاثة: حد، وأقسام، وأمثلة

فحدّها: لغة: ما يتكلّم به الإنسان ويريد به غيره، واصطلاحا: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي معه.

وأقسامها ثلاثة: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، و كناية عن نسبة.

فالكناية عن الصفة: هي أن يكون المعنى المقصود صفة تثبت لموصوف.

نحو: عمرو يأكل السبع به ثلاثة أيام، كناية عن سمنه حتى إن السبع لا يستطيع أن يأكله بيوم واحد، ولا مانع من أن يأكل السبع به ثلاثة أيام مع سمنه.

ونحو: زيد طويل اللسان كناية عن بذاءته، ولا مانع من أن يكون في لسانه بعض طول حقيقي مع البذاءة.

ونحو: زيد يأكل بالدَّين كناية عن كونه نحيفا، ولا مانع من أن يراد المعنيان معا بأن يكون نحيفا يأكل الطعام بمال في ذمته.

ونحو: زيد يقرء ما في السطور كناية عن كونه حادّ البصر، ولا مانع من أن يراد المعنى الأصلي أيضا بأن يكون يقرأ ما بين السطور من كلمات صغيرة تكتب كما في الحواشي القديمة.

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[الفرقان:٢٧]، فعضّ اليد كناية عن شدّة الندم، ولا مانع من أن يكون مع ندمه الشديد يعضّ على يديه بأسنانه حقيقة.

ونحو: زيد لا يدخل من هذا الباب كناية عن ضخامته، ولا مانع من أن يراد المعنيان.

ونحو: تسافر يده على الخِوان ويرعى أرض الجيران، كناية عن سوء أدبه في المؤاكلة.

ونحو: لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن كثرة أسفاره.

ونحو: قلبتُ له ظهر المِجَنّ كناية عن تغيير المودّة.

وهي ضربان: قريبة: وهي ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بلا واسطة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه كألأمثلة السابقة.

وبعيدة: وهي ما ينتقل به منها إلى المقصود بواسطة.

نحو: زيد مهزول الفصيل كناية عن كرمه، فإن هزال الفصيل مما يستدلّ به على الكرم.

لكن الانتقال من هزال الفصيل إلى الكرم يتوقف على واسطة، فإنه ينتقل منه إلى جوعه بعدم شرب اللبن ومنه إلى كثرة حلب أمه ومنها إلى كثرة الأكلة ومنها إلى كثرة الضيوف ومنها إلى المطلوب وهو الكرم.

ونحو: زيد كثير الرّماد كناية عن كرمه أيضا، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر ومنها إلى كثرة الطبخ ومنها إلى كثرة الأكلة ومنها إلى كثرة الضيوف ومنها إلى المطلوب وهو الكرم.

والكناية عن الموصوف: هي أن يكون المقصود ذاتا تتصف بصفة، بشرط أن تكون الصفة مختصّة بالموصوف ولا تتعدّاه ليحصل الانتقال منها إليه.

وهي ضربان: قريبة وهي: أن يتّفق في صفة اختصاص بموصوف معين ينتقل منها إليه، نحو رأيت ملك الغابة كناية عن الأسد لأنّ هذه الصفة خاصّة به، ولا مانع من إرادة المعنيين.

ونحو: هزم الأمير العدوّ وصار من في كفّه منهم سلاح كمن في كفّه خضاب.

ففي هذا المثال كنايتان عن موصوفين: الأولى (من في كفه منهم سلاح) وهذا كناية عن الرجل لأنه الذى يحمل السلاح.

والثانية (كمن في كفه خضاب) وهذا كناية عن المرأة لأنها هي التي تخضب يدها بالحناء.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف:١٨]، كناية عن المرأة لأنها هي التي تنشّأ وتربّى في الحلية والذهب وتزيّن بها، وهي التي إذا خاصمت لا تستطيع أن تغلب خصمها لضعفها وعدم القدرة على الإبانة عن الحجّة.

وبعيدة وهي: أن يحتاج الانتقال إلى الموصوف إلى تلفيق صفات يختص مجموعها بموصوف معين، ومن هذا القبيل الحدود والرسوم إذا عريت عن ذكر المحدود، نحو: الحيوان الناطق للإنسان.

والكناية عن النسبة أي الحكم هي: أن تسند الصفة إلى ما له تعلّق بالموصوف كناية عن إثباتها للموصوف.

وهي ضربان: قريبة وهي ما لا تحتاج إلى زيادة تأمّل، نحو: زيد العلم في غرفته كناية عن نسبته لزيد.

لأن نسبة العلم إلى غرفة زيد يستلزم نسبة العلم لزيد فيكون زيد عالما، فبدل أن نصرّح بنسبة الصفة إلى الموصوف نكنى عن هذه النسبة بنسبة أخرى تستلزمها فهذه هي الكناية عن النسبة.

ونحو: الكرم ملء ثياب زيد كناية عن نسبة الكرم إلى زيد، لأن نسبة الكرم

إلى ثيابه يستلزم أن يكون زيد كريما.

ونحو: الذّكاء بين عيني زيد كناية عن نسبة الذكاء إلى زيد، لأنّ نسبة الذّكاء إلى ما بين عينيه يستلزم أن يكون ذكيّا.

وبعيدة وهي: ما يحتاج إلى زيادة تأمّل، نحو قوله:

المجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه

لما أراد أن يبين نسبة المجد إلى ابن العميد على طريق الكناية جعل مساعي ابن العميد نظام عقد في جيد المجد، ودلّ بذلك على اعتناء ابن العميد بشأن المجد، ودلّ بذلك على أنّ ابن العميد يصحب المجد؛ إذ الاعتناء بشأن شيء يدلّ على صحبة المعتني به.

ونبّه على أن المجد المعرّف باللام أي حقيقته ثابتة به، وثبوت الحقيقة للشيء يستلزم ثبوت جميع الأفراد له الموجب نسبة المجد إليه.

وهذا آخر ما يسّره الله لي من جمع هذه الرسالة اللطيفة، وأبرأ إلى الله من القوّة والحول وأستغفره من الفعل والقول، وأرجو ممن اطّلع ما فيه من زلل أن يصلحها بعد التأمّل، فإنّما أنا ناقل ولستُ بقائل.

والحمد لله أوّلا وآخرا، وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا
وحبيبنا محمّد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما

الفهــرس

التِّبيان

فِي قَوَاعِدِ عِلْمِ الْبَيان